١٢- مولد الأمل

تفرغ "غريب " لمزرعة "الجاموس" بهدف تطبيق فكرته، لقد كان التحدي المقترن بالسخرية سيفًا مسلطًا على رقبته، ومع هذا لم تفتر عزيمته، أو يضربه الوهن، كان يتصرف بحصافة وروية كما بدأ مشروعه، حيث كان يستطلع رأي أهل التخصص في كل كبيرة وصغيرة، بغية الوصول للوضع الأمثل، وقبل بناء المزرعة قرر أن يربي الجاموس للحليب، لأن ألبانه غنية بالدسم، ولأن بيع الحليب سيدر عليه ربحًا وفيرًا.

كان "غريب"يراهن على رفع إنتاجية "الجاموسة" ليصل إنتاجها من١٨ :٢٠ كيلو من اللبن، بإدخال الموسيقى كعامل مؤثر، وخاصة أن الدوائر الموسيقة غير مكلفة.

طبق التجربة بتشغيل الموسيقى قبل الحليب بساعيتن، بالتزامن مع ضبط التغذية، ولم تظهر أي نتائج خلال الأسبوع الأول، مما آثار قلقه، بيد أن الإنتاج في الأسبوع الثاني زاد فيه إدرار اللبن بمقدار كيلو واحد، وفي الأسبوع الثالث زاد إدرار اللبن بمقدار اثنين كيلو جرام، وعقب نجاح التجربة، اندفعت بعض الصحف وبعض الفضائيات تشيد بالتجربة، وتحولت السخرية إلى إشادة بالفتى ومع نهاية شهر أغسطس كان "غريب" في كامل صحته، وفك الحبس من فوق ذراعه.

وبعد نجاح الفكرة، تم إصلاح محول الكهرباء بإيعاز من "دياب النمر"الذي راق له أن يرى أهل القرية هذا النجاح، لأن هذا يدلل على أنه لم يكن مجنونًا بالماضي عندما كان شريكًا في المزرعة، ضرب الندم رأسه على التسرع في فض

الشراكة، فقد أصبح "غريب" من الشخصيات الشهيرة، وموضع تقدير المسئولين، واليوم يستقبله الساخرون منه بالأمس بحفاوة بالغة.

أشعل نجاح الفتى هدير الرغبة في قلب "فاتن" زوجة العمدة بضراوة، فأصبحت تشتاق إليه أشد من السابق، ولم تعد ترى غيره، كانت تتابع حركاته بالمزرعة عبر شرفتها، وعلمت أنه بعد حليب الوجبة المسائية، ينتظر بالمزرعة وحده نحو الساعتين، في استراحة المزرعة، يراجع الحسابات، ومخزون الأعلاف، ويدون متطلبات اليوم التالي؛ حتى ينجزها العمال في الصباح، ولذا عقدت العزم على الهبوط إليه لتشفي شبقها منه، ولكنها تتحين الفرصة المناسبة لذلك، حتى لا يفلت منها لأي سبب.

لم يكن الفتى يرى من النساء سوى حبيبته"رجاء"، فالسحر الذي يتدفق من عينيها كان كالأمواج التي تحمل العاشق برفق فوق بحور النعيم، وكلما ألقت إليه بنظرة يرتوي، فلا يشعر بعدها بالظمأ نحو أنثى أخرى، كانت بسمتها تهل فوق عمره كالدفء في شعاع الشروق، فيتمدد بين الأحلام يقطف الأمل من فوق الربيع الأخضر بين ثنايا عمرها، وكان يراها وكأنها هي الدنيا، فيرى السعادة تتساقط كما الورود من بين شفتيها، عاد للمنزل مشتاقًا إلى سماع صوتها، وقرب العاشرة مساءً فتح صفحته على"الفيس بوك" ليختم اليوم برحيقها عبر الفضاء الإلكتروني، وعندما فتح صفحته وجدها في انتظاره، وقد كتبت له الرسالة التالية:

بنت النيل: حبيبي أنا أنتظر قدومك بفارغ الصبر لمتابعة أحوالك، سرني نجاح مشروعك، حتى أصبحت حديث كل الناس، وأسعدني ثقتك بنفسك، فلم تفتر عزيمتك يوما ما حتى تحقق الهدف، رغم المكايدة، والعوائق، والحسد، وهكذا يكون الفرسان عند التحدي، أحببتك لشخصك، وبهرني فيك قوة الإرادة، لأنها الفرق بين الخامل والعامل، مازلت أنتظرك بكل حواسي.

قرأ "غريب" رسالتها بجوارحه، فكل غايته أن يكون عند حسن ظنها، وألا يخذلها، فرد عليها لفوره:

ابن النيل: حبيبتي، أنا أستمد من حبك العزيمة، ولا أهاب منازلة الموت من أجلك، فحياتي بدونك كالعدم، لأني ذبت في العشق العفيف عندما لمست فيكي الطهارة بروحي، لن أتخلى عن حبك، وسوف أجدد طلب يدك من أبيكِ مرة أخرى، خلال الأسابيع القليلة القادمة، بيد أني اشتقت لرؤياك، والحديث معك وجهًا لوجه، مارأيك في أن نلتقي الثلاثاء القادم بعد يومين من الآن، لنقضي يومًا في أحضان النيل بين صفحات النهر، والطبيعة الخلابة.

-بنت النيل: أشتاق بشدة لمثل هذا اللقاء، وسوف أدبرالأمر، حتى تظللنا نسائم الحب، فما أحلى صحبتك!!

ابن النيل:اتفقنا، وسوف أنتظرك عند الحديقة الكبيرة بالقناطر الخيرية، بجوار مقعد شجرتنا التي تحضن النهر بأغصانها الخضراء.

مر الوقت على العاشقين بطيئًا، كأن الثواني أصبحت دهرًا، وفي الموعد المحدد، وأسفل الشجرة العتيقة جاءت "رجاء" كالنور فوق حلل الربيع، فنهض "غريب" يستقبلها بأغصان المحبة الصادقة، تشابكت الأيدي، فنزقت الأنامل الشوق كالسيل الغزير فوق الأرواح، ساد الصمت فوق الشفاه، جذبها لتجلس بجواره فجلست هينة لينة، فشعر بأن الحنان يظلله من فوقه، ويحمله من تحته، ويغشاه عن يمينه ويغطيه من يساره، كانت لغة الكلام بالهمس والنظرات، أما الأماني فقد أشرقت تتعانق كأنها القبلات، وسادت هيبة المحبين، فخشعت الأشجار من حولهم تقدس طهارة هذا الحب، ثم رقصت أوراقها تزف القلبين بالهواء العليل، وكأن النبات والجماد يميز بين الصدق والزيف، وقام الحبيبان يتجولان بين أجمل أنواع الأشجار والحدائق في العالم، كان الجو شديد الصفاء، والبهجة فوق الشفاة.وجدت"رجاء" في نفسها بعضًا من الفضول كي تعرف بعضًا من أسرارهذه المدينة الخلّابة، القابعة كالعروس فوق قمة الدلتا، على بعد ٢٢ كيلومتراً من القاهرة، فراحت تسأل حبيبها عن مدينة القناطرالخيرية، وهو يجيبها على كل سؤال.

وهكذا أنفق الحبيبان الوقت في الحب والحوار الثقافي والاجتماعي، حتى جذبهم الشوق نحو النيل، فركبا قاربًا حديثًا، ليتجولا فوق صفحة النهر، كان المنظر بديعًا، وكأن الجمال قد نسج في أرجاء المكان نسجًا، تظهر للناظر الأشجار الخضراء الفريدة، وهي تلتحف بالطبيعة، وتعانق الطيور،وهي تغرد

تحت السماء للصفاء، كانت اللحظات السعيدة كما هي عادتها تمر كالبرق، فمرت ساعتان، وهما فوق الماء يتبادلان اِرْتِشَافٌ الحب بقلبيهما.

خرجا لتناول الغذاء بأحد المطاعم الفاخرة، ورغم أن أصناف الطعام كثيرة أمامهما، كانا يأكلان ببطء، ومع أنهما لم يأكلا منذ الصباح، كانا يشعران بالزهد نحو الطعام، فقد طغى الجوع إلى الحنان على ما سواه من جوع ، وتوقف الكلام، ولم يعد للحروف معنى أمام الشوق الجارف، وعادا قبيل العصر إلى القرية كلاهما مغروس في داخله رغبة تفور كالبركان، حتى بعد أن أدلف كل منهم إلى منزله، لم يستطع كل منهما التوقف عن التفكير بالآخر.

تمرالأيام على الحبيبين أطول من السنين، ولكنهما على تواصل دائم على صفحات"الفيسبوك"، يبردان الشوق بعذوبة الحديث، وكانا يصبران نفسَيهما، بأن معسول الكلام قد يتلاشي لوتم الزواج مبكرًا كعادة الكثير من الأزواج، فحلاوة الحب ربما تخفت بعد أن يذبح الشوق بالوصال فوق الوسائد، كان الحبيبان يخشيان من ذلك المصير، فهما يريدان لحبهما أن يظل مخضبًا بالنور، والدفء طوال العمر.

وفي المساء دخل "غريب"على أمه راجيًا منها تكرار طلبها ليد "رجاء" مرة أخرى، مسحت الأم رأس ولدها برفق، ووعدته بذلك شريطة الانتظار بضع أسابيع، فهي تعلم أن "شريف حسونة الفقي" رجل دقيق في قرارته، ويفكر في الأمور بميزان العقل، فقد عرفت عنه شدة التريث، وسينتهي به الحال إلى مباركة هذا الزواج، فنظرت إلى "غريب" مبتسمة :

- حميدة: لا تقلق يا ولدي رجاء لك، وأنت لها.

-غريب: أتمنى ذلك يا أمي فأنا أحبها حبًا شديد.

- حميدة: أمها "سعاد" تعرف بحبكما الطاهر، وننسق معًا لإقناع "شريف حسونة الفقي" بالموافقة.

- غريب: متى يأتي هذا اليوم يا أمي ؟

-حميدة: هو آت عما قريب.